

إضاءة

تدمر في عين العاصفة: «داعش» يهدد درة البادية

اغلبية اثار المدينة التي يمكن مشاهدتها حالياً الى الفترة الرومانية، ومنها معبد الاله «بل»، المربع الشكل، الذي تبلغ مقاساته 205*210متر. يمكن تحديد تاريخ تكريس المعبد بدقة (6 نيسان سنة 32 ميلادية) وذلك بفضل كتابة مكتشفة، إلا ان العمل به بدأ قبل هذا التاريخ، إذ تشير بعض الكتابات الى تقدمات للمعبد تعود الى سنة 17.

العنصر الثاني المهم في تدمر هو الطريق المؤدية من المعبد الى المدينة القديمة، ويمتد بناؤها بين بداية القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث، وهي محاطة بأعمدة جميلة تميز طرق المدن الرومانية الشرقية حتى القرن الرابع، كإفاميا، وانطاكيا وأفسس، إضافة الى النصب الرباعي الأعمدة (tetrapyle)، والمسرح أو معسكر «ديوكليتيان». تمثل تدمر أذاً درة رائعة في البادية السورية، مدرجة على قائمة الاونيسكو للتراث العالمي منذ عام 1980، وسيكون اي ضرر قد تتعرض له، ومن باب اولي اي تدمير ممنهج، كارثة أثرية وتاريخية إضافية بعد كل ما لحق بالثروة الأثرية السورية، ومناسبة إضافية لاطلاق مبادرة لتحديد هذه الاماكن عن الصراع بقدر الامكان.

284) للتوسع باتجاه الساحل السوري ومصر، إضافة الى اسيا الصغرى. تزامن صعود سلطة زنوبيا مع وصول امبراطور قوي ومصمم على بسط سلطته على كل الامبراطورية، فانتهى الامر بمحاصرة تدمر واستسلام زنوبيا، واقتيادها الى روما في 272. بعدها بسنة قامت ثورة بقيادة احد افراد عائلة زنوبيا، ادت الى تدمير القسم غير الروماني من المدينة. بعد هذا التاريخ تقلص دور المدينة تاريخياً، بالرغم من كون جوستينيانوس قد رمم السور وأسكن فيها حامية، لم تدفع عنها الغزو العربي فسقطت بيد خالد ابن الوليد سنة 634، وانتهى بذلك تاريخها الهليني الروماني. في الواقع فان المعلومات عن المدينة بدأت تتغير منذ نهاية تسعينيات القرن العشرين، فالملاحظة القديمة المتعلقة بعدم انتظام الخريطة العمرانية للمدينة الرومانية، ما يفترض وجود معالم مدينة اقدم، جرى تأكيد صحتها عبر المسح الأثري المغناطيسي (Prospection archéomagnétique)، إضافة الى عمليات سبر اظهرت عناصر ديكور وسيراميك هيلينية أو اقدم. عرفت تدمر اوج ازدهارها العمراني في مطلع القرن الثالث، وتعود

الذي تقوم عليه تدمر كواحة الى الالف السابع قبل الميلاد، وذكرت المدينة للمرة الاولى كتابة في الالف الثاني قبل الميلاد (القرن التاسع عشر ق.م) مرتين في وثائق تعود لاحدى المستعمرات الاشورية في كبدوقيا (اسيا الصغرى)، ومرات عدة في الارشيف الملكي لمدينة ماري (الثامن عشر ق.م)، ومدونات عيمار (الرابع عشر ق.م)، وصولاً الى المدونات الاشورية (الحادي عشر ق.م)، حيث توصف بـ«تدمر الصحراء» ملاذ اللصوص الاراميين الذين يفخر تغلات بلاصر الاول (1115-1077) بانه لاحقهم الى ما وراء النهر (الفرات) ونهب بلادهم بعد هجوم تغلات بلاصر الذي تتحدث عنه المصادر الاشورية سيخبو ذكر تدمر لحوالي الالف عام، لنعود ونقرأ عنها في المصادر الرومانية سنة 41 ق.م عندما هاجمها الامبراطور الروماني «انطونيوس» محاولاً نهبها، ففر سكانها الى ضفة الفرات الأخرى.

صُفّت المدينة الى الامبراطورية الرومانية سنة 19 بعد المسيح، خلال حكم الامبراطور «طيبيريوس»، اذاً منذ هذا العهد، وتدمر مدينة من مدن الامبراطورية، وتخضع لحاكم سوريا المقدم في انطاكيا، فهي ليست اذاً مدينة اجنبية عن الامبراطورية، او مملكة زبونة لها، ولم تكن يوماً مملكة في الاصل. بعد زيارة الامبراطور «ادريان» لها سنة 129 اتخذت المدينة لقب «Hadriana Palmyra»، مع ما يعنيه اللقب من منح مالية خاصة من الامبراطور، قبل ان تكتسب وضع المستعمرة الرومانية (colonie romaine) في بداية القرن الثالث، امان حكم «سبتيموس ساويروس» أو «كاراكالا».

وفي بداية القرن الثالث، حصلت تدمر على وضع المستعمرة الرومانية مع اعفاء مبدئي من الضرائب. اشارة الى الوجود العسكري المهم في تدمر كمدينة حدودية، فكان الوجود العسكري الروماني قوياً فيها، كما اعطت المدينة لروما جنوداً عملوا في اكثر من مكان، بينها في دورا اوروبوس، ابتداء من سنة 208. لا بد من الإشارة الى اذينة، وهو باختصار قائد عسكري برز خلال المرحلة المضطربة، وخاصة بعد هزيمة الرومان امان الساسانيين بقيادة «شهبور» الاول، واسر الامبراطور الروماني «فاليريان» في اوديسا سنة 259. بعد اذينة استغلت ارملة زنوبيا وابنها وهب الالات مرحلة الفوضى العسكرية التي شهدتها الامبراطورية (235-

حبس اهل الاختصاص انفسهم مع اقتراب «داعش» من تدمر. ومع صد الجيش للهجوم زالك الخطر، انما تبقى اشكالية ومأساة المواقع والمباني الأثرية التي تضررت منذ بداية الحرب، وعددها 420 موقعاً تقريباً

موريس قديح

يبدو ان الهوس بتدمير الوابد التاريخية في المنطقة لم ينته بعد، فبعد نحو الثلاثة اشهر على غزوة متحف الموصل، وجرف مدينتي الحضر والنمرود في العراق، وصل الخطر الى مدينة تدمر الأثرية في البادية السورية، مع اقتراب تنظيم «داعش» من المدينة خلال نهاية الاسبوع، قبل تراجعهم بفعل المواجهات مع الجيش السوري. وإذا كانت الأضرار في الثروة التاريخية حصيلة حتمية لكل الحروب تقريباً، فإن ما يحصل في العراق وسوريا على يد التنظيمات الاسلامية عامة، لا «داعش» فقط، هو امر ممنهج وواع، لا يخدم فقط اجندة مالية تعتمد على الاتجار غير المشروع بالاثار، كمصدر من مصادر التمويل، بل يتعداها الى مكون عقائدي فاقع أيضاً.

بقي موقع تدمر الأثري بعيداً نسبياً عن اضرار المواجهات منذ بداية الحرب السورية، واقتصرت الأضرار على بعض الامور الطفيفة، وخاصة في معبد «بل» ووادي القبور ومعسكر «ديوكليتيان»، او في الواحة على نحو عام. تمثلت الأضرار في تضرر بعض الجدران الداخلية والخارجية لمعبد «بل»، والحفريات السرية في اكثر من نقطة، إضافة الى البناء غير المشروع في حرم الموقع، وحرائق في الواحة. ومع هذا يمكن القول ان الموقع بقي محفوظاً على نحو كبير. عززت هذه الحماية اجراءات اتخذتها مديرية الآثار السورية لحماية الموقع، فعملت على تقوية مداخل المدافن الجنائزية وطمرها، إضافة الى نقل محتويات متحف تدمر الى مكان امن، واستردت حوالي 120 قطعة أثرية منهوبة. وكان للتواصل مع المجتمع المحلي دور في الحد من المخاطر، وهو ما جرى اختباره في اكثر من منطقة، كبصرى مثلاً. يعود أقدم وجود بشري على التل



«التلفزيون السوري كان محظوظاً يوم فك الحصار عن سجن حلب المركزي». يجيب مبتسماً بالقول: «نحن العسكر لا نتحدث في الإعلام إلا بتوجيهات قيادتنا، ويكون ذلك بعد إنهاء المهمة. أنا واثق من إنجاز كامل المهمة في جسر الشغور. لن ندخر جهداً نحو تحقيق هدفنا، لكنها معركة وعلينا الإعداد والتخطيط كما ترى، فعدونا لن يسمح لنا ببساطة أن ننجز ما نريد، لكننا أيضاً لن نسمح له بأن يحقق ما يبغى. ولعل الاعوام الأخيرة شهدت تغيراً كبيراً في خارطة السيطرة ومسير العمليات العسكرية». يصنّ صاحب القبضة الحديدية على استكمال عاداته الشرقية، بنهض ليقدّم الضيافة لزواره، يتصرف كما لو أن الحاضرين اصدقاءؤه. بات وجود الحسن في أي معركة عنوان اطمئنان للسوريين المؤيدين للدولة. يختم اللقاء بالقول: «بلغ كل من تلتقيهم تحياتنا، ونعدهم بتحقيق الإنجازات واحداً تلو الآخر. إن شاء الله نلتقط الصور داخل جسر الشغور قريباً».

تقرير

الجيش يسيطر على تلك تدمر ويؤهّن قلعتهما

مرح هاشي

بالتزامن مع تدمير المدفعية رتلأ متوجهاً من الرقة نحو السخنة، شمالي تدمر، بهدف مؤازرة المسلحين الذين تقدموا، أول من أمس، ضمن الحي الشمالي من المدينة. سرعة تحركات الجيش أدت إلى انسحاب المسلحين من نقاط عدة. مصدر ميداني أكد أن الجيش لم يخسر نقاط مؤثرة على وجوده ضمن المدينة، باستثناء حاجز السد، إلى الشمال الغربي من قلعة تدمر، والذي سيطر عليه مسلحو «داعش» قبل أيام، قبل أن يستعاد أمس. كذلك استعاد الجيش السيطرة على تلة الإشارة، المواجهة للقلعة، في حين تتركز الاشتباكات على المحور الشمالي لتدمر، إضافة إلى الشمال الشرقي من المدينة، ضمن حقل الهيل النفطي، مع تقدم الجيش ضمن منطقتي العامرية والزراعة.

مصادر ميدانية تفاءلت بالوضع ضمن المدينة، بعد أيام من التشاؤم، مؤكدة أن الخطر لا يزال محيطاً بالمدينة، لكن يمكن الجزم بأن الجيش سيطر على الموقف العسكري، ونكر محافظ حمص طلال البرازي، في حديث إلى «الأخبار»، أن التنظيم حاول احتلال تدمر لهدفين: أولهما سرقة آثارها، وثانيهما حاجتها إلى تقدم جديد البرازي الذي جال أمس في المدينة، خفف من وطأة خسارة بلدة السخنة، معتبراً أنها خاضرة تدمر الضعيفة، ووجود الدولة فيها ليس إلا وجوداً إدارياً لتسيير شؤون المدنيين.



جنود الجيش يسيرون في تدمر.

تواصلت الاشتباكات بين الجيش السوري ومسلحي «داعش» على حاجز السد، شمال غرب تدمر التاريخية، إلى الشرق من مدينة حمص. وأدى تمركزه على تلة الإذاعة إلى طرد مسلحي «داعش» من محيط القلعة. ولم تفلح محاولات «داعش» في السيطرة على المدينة، إذ استعاد الجيش السيطرة على تلة الإذاعة، المواجهة للقلعة، بعد وصول تعزيزات إلى المنطقة. سيطرة الجيش على التلال الحاكمة للمدينة، والتمثلة في تلة السيرياتل وتلة الإذاعة والتلفزيون وتلة القلعة، أثرت في وجود المسلحين في المحيط، باعتبار التلال المذكورة تشرف على الطرق المؤدية إلى المدينة. يأتي ذلك

وفي سهل الغاب في ريف حماه الشمالي الغربي، تصدت وحدات الجيش المتحصنة في بلدتي تل واسط والزياره لمحاولات المسلحين الهجوم على النقاط العسكرية في محيطها، بمساعدة سلاح الجو الذي نفذ سلسلة غارات في بلدات الحميدية والقاهرة، حيث يستخدمها المسلحون لاستهداف مناطق سيطرة الجيش بالقذائف.

التقدم باتجاه تلة المسطومة. وأفاد المصدر بأن المعركة مستمرة لكنها صعبة بسبب ضغوط الهجوم الكبير والمتواصل من محاور مدينة إدلب وبلدات فيلون وكورين وقميناس، مشيراً الى أن الطيران الحربي يساند في منع المسلحين من الوصول الى مناطق الجيش عبر تنفيذ الإغارة على طرق إمداد المسلحين.

مخاوف من استهداف المسلحين المدارس خلال إجراء الامتحان. وبالعودة إلى التطورات الميدانية، شن تنظيم «القاعدة» هجوماً هو الأعنف على بلدتي المسطومة والمقبلة، جنوبي مدينة إدلب بهدف السيطرة عليهما. وقال مصدر ميداني إن الهجوم سبقه قصف بعشرات القذائف والصواريخ، إضافة إلى محاولة المسلحين

أضرار جسيمة في محطة التحويل الرئيسية ولوحة التحكم. ويضاف إلى معاناة الأهالي غلاء الأسعار وتأخر دفع رواتب الموظفين بعد خروج مدينة إدلب عن سيطرة الحكومة السورية. وعلى وقع القذائف ورصاص الاشتباك، يستعد طلاب شهادة التعليم الأساسي في المدينة لتقديم امتحانات الفصل الثاني، وسط

وما زالت الاشتباكات مستمرة». إنسانياً، يعاني سكان مدينة أريحا من حياة معيشية صعبة في ظل الحرب الدائرة في محيطها نتيجة انقطاع المياه منذ أكثر من أسبوعين، إضافة إلى انقطاع الكهرباء، منذ خروج محطة زيزون الحرارية عن الخدمة في 10 أيار الجاري بعد استهداف أحد خزانات الوقود فيها بالصواريخ، ووقوع

طومة